

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[14] والهلاك. وهذا الأمل القاتل هو أساس الجهل بالله وعدم معرفة الحق والإبتعاد عن الحقيقة، ويؤدي الى تفوق الانسان في دائرته الفردية بما ينسجه الخيال الواسع وابتعد عن هدف وجود الإنسان على الأرض والمصير الذي يصبو إليه. ويحدثنا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عن هذا المضمون بقوله "يا أيها الناس، إنَّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتِّباعُ الهوى وطول الأمل؛ فأما اتِّباعُ الهوى فيصدُّ عن الحقِّ، وأما طول الأمل فيؤنِّسُ الآخرة" (1). حقاً، كم هم أولئك الذين امتازوا بالملكات الفائقة والكفاءات اللائقة، ولكنهم سقطوا في شباك فخ طول الأمل فتحولوا إلى موجودات ضعيفة، بل وممسوخة! وأصبحوا لا يستطيعون تقديم شي لمجتمعهم، بل ضيَّعوا حتى ما ينفع أنفسهم وأُنْقِلُوا عمَّما يسمون به إلى التكامل. وهذه الصورة نتلمس ملامحها بجلاء في دعاء كميل: "وحبسني عن نفعي بـُعد أُملي". بديهي أنَّ الأمل الذي يتجاوز الحد المعقول، يجعل الإنسان عرضة للإِنهماك والعجز والإِضطراب، ويؤمِّر لصاحبه أنَّ هذه الحال ستوصله إلى السعادة والرفاه، وما يدري أنَّهُ يخطو صوب جرف الشقاء والنكد. وغالباً ما تطوى صفحات هؤلاء بالدمعة الجارية والحسرة لما آل إليه المآل ليكونوا عبرة لكل ذي عين بصيرة وأُذن سميعة. * * *